

تفسير البحر المحيط

. @ 396 @

{ إِنََّّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدَّرَجَاتِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } قال ابن عباس :
الدرك لأهل النار كالدرج لأهل الجنة ، إلا أن الدرجات بعضها فوق بعض ، والدركات بعضها
أسفل من بعض انتهى . وقال أبو عبيدة : الدركات الطبقات : وأصلها من الإدراك أي : هي
متداركة متلاحقة . وقال ابن مسعود وأبو هريرة : هي من توابيت من حديد متعلقة في قعر
جهنم ، والنار سبع دركات ، قيل : أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم
سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . وقد تسمى جميعها باسم الطبقة الأولى ، وبعض الطبقات
باسم بعض ، لأن لفظ النار يجمعها . وقال ابن عمر : أشد الناس عذاباً يوم القيامة
المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون . وتصديق ذلك في كتاب الله هذه الآية في
المنافقين : و { فَإِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } * { وَأَدْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خِزْيَانًا فِيهَا كُنْتُمْ خَالِدِينَ }
المنافق أشد عذاباً من غيره من الكفار لأنه مثله في الكفر ، وضم إلى الكفر الاستهزاء
بالإسلام وأهله ، والمداواة والاطلاع الكفار على أسرار المسلمين فهو أشد غوائل من الكفار
وأشد تمكيناً من أذى المسلمين .

وقرأ الحرميان والعربيان : في الدرك بفتح الراء . وقرأ حمزة ، والكسائي ، والأعمش ،
ويحيى بن وثاب : بسكونها ، واختلف عن عاصم . وروى الأعمش والبرجمي : الفتح ، وغيرهما
الإسكان . قال أبو علي : وهما لغتان كالشمع والشمع ، واختار بعضهم الفتح لقولهم : في
الجمع أدراك كجمل وإجمال يعني : أنه ينقاس في فعل أفعال ، ولا ينقاس في فعل . وقال عاصم
: لو كان بالفتح ل قيل : السفلى . قال بعضهم : ذهب عاصم إلى أنَّ الفتح إنما هو على أنه
جمع دركة كبقرة وبقر انتهى . ولا يلزم ما ذكره من التأنيث ، لأن الجنس المميز مفردة بهاء
التأنيث ، يؤنث في لغة الحجاز ، ويذكر في لغة تميم ونجدة ، وقد جاء القرآن بهما ، إلا
ما استثنى لأنه يتحتم فيه التأنيث أو التذكير ، وليس دركة ودرك من ذلك ، فعلى هذا يجوز
تذكير الدرك وتأنيثه .

{ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً } أي مانعاً من العذاب ولا شافعاً يشفع . .
{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ } أي تابوا من النفاق وأصلحوا
أعمالهم ، وتمسكوا بالله وكتابه ، ولم يكن لهم ملجأ ولا ملاذ إلا الله ، وأخلصوا دينهم لله أي :

لا يبتغون بعمل الطاعات إلا وجه الله تعالى . ولما كان المنافق متصفاً بنقائص هذه الأوصاف من الكفر وفساد الأعمال والموالة للكافرين والاعتزاز بهم والمراعاة للمؤمنين ، شرط في توبتهم ما يناقض تلك الأوصاف وهي التوبة من النفاق ، وهي الوصف المحتوي على بقية الأوصاف من حيث المعنى . ثم فصل ما أجمل فيها ، وهو الإصلاح للعمل المستأنف المقابل لفساد أعمالهم الماضية ، ثم الاعتصام بالله في المستقبل وهو المقابل لموالة الكافرين والاعتماد عليهم في الماضي ، ثم الإخلاص لدين الله وهو المقابل للرياء الذي كان لهم في الماضي ، ثم بعد تحصيل هذه الأوصاف جميعها أشار إليهم بأنهم مع المؤمنين ، ولم يحكم عليهم بأنهم المؤمنون ، ولا من المؤمنين ، وإن كان قد صاروا مؤمنين تنفيراً مما كانوا عليه من عظم كفر النفاق وتعظيماً لحال من كان متلبساً به . ومعنى : مع المؤمنين ، رفقاؤهم ومصاحبوهم في الدارين . والذين تابوا مستثنى من قوله : في الدرك . وقيل من قوله : فلن تجد لهم . وقيل : هو مرفوع على الابتداء ، والخبر فأولئك . ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط المتعلق بالذين . . .

{ وَسَوْفَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ مِنْهُمُ غُرَّةً أَعْظَمَ مِنْهُمَا } أتى بسوف ، لأن إيتاء الأجر هو يوم القيامة ، وهو زمان مستقبل ليس قريباً من الزمان الحاضر . وقد قالوا : إن سوف أبلغ في